





لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخذ، بل لابد من حسن الجميع ليم حسن الظاهر فكذلك في الباطن أربعة أركان لابد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق، وهي قوة العلم، وقوة الغضب وقوة الشهوة، والعدل بين هذه القوى الثلاث (١).

ويرى الغزالي أن هذه الأصول لم تجتمع، ولم تسكتمل إلا في رسول الله ﷺ، وأن الناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه على قدر التخلق بأخلاقه.

يقول الغزالي في هذا الموضوع نفسه بعد تفصيل وتوضيح لسلك فضيلة (فأمهات محاسن الأخلاق هذه الفضائل الأربعة وهي الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة، والباقي فروعها، ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الأربع إلا رسول الله ﷺ، والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه، فكل من قرب منه في هذه الأخلاق فهو قريب من الله تعالى بقدر قربه من رسول الله ﷺ، وهذه الفضائل كما يرى إمامنا وسط بين طرفين. هما الإفراط والتفريط، وهذا الوسط هو الاعتدال، وهو المحمود شرعاً وعقلاً، إذ يرى أن معيار الاعتدال العقل والشرع معاً، فباحتمام الإنسان إليهما يعلم حد الاعتدال المحمود.

فمثلاً إذا فكر الإنسان بعقله، ورعى الشرع وحكمه، ومقاصده علم أن شهوتي البطن والفرج إنما جهز الإنسان بهما ليعتداه على حفظ الفرد والنوع بإسلامة البدن الذي به صحة العقل، وجودة التفكير، وطلب العلوم وحقائق الأمور، وبالعقل الذي به عمارة الأرض وبقاء العالم وإذا فليس للبره إن إستشار عقله أن ينيل هاتين الشهوتين كل سراً لهما، وحرى به أن يقصد منهما ما خلقا له.

وليكن شعاره في الأولى أنه يأكل ليعيش لا أنه يعيش لياكل.

وفي الثانية أنه يتزوج ليحصن نفسه، ويساهم في بقاء العالم، لا ليطلب اللذة، ويلهو ويتمتع فحسب (١).

وفرى من الضروري توفيقاً للموضوع أن نذكر أولاً كلمة من تحديد الغزالي لتلك الفضائل والرذائل الرئيسية التي تسكنتها، ثم نذكر ما يندرج تحت كل فضيلة من هذه الفضائل الرئيسية:

١ - الحكمة: وهي فضيلة النفس العاقلة بها تسوس القوة الشهوية والقوة الغضبية، وتقدر حركاتهما بالقدر الواجب في كل الحالات (٢).

كما أنه بالحكمة تدرك النفس الصواب من الخسأ فيما تأتي وتذر من الأفعال (٣) ثم الحكمة وسط بين الخب والبله.

والخب هو الإفراط بأن يكون المرء ذا فكر وحيلة، والبله هو التفريط والتقصان من حد الاعتدال الناشئ عن بطء الفهم، وقلة الإحاطة بصواب الأفعال، هذا ولو أن الغزالي عرف البله بأنه: تعطيل القوة الفكرية بالإرادة لانقصان الخلقه (٤). كما فعل بن مسكويه في كتابه «تهذيب الأخلاق»، لكان ذلك أوفق وأفضل من جعله ناشئاً عن بطء في الفهم وتصور معرفة ما ينبغي، فإن البله إن كان في الخلقه يسكون من الظلم عنه رذيله إذ أن الرذيلة لا تسكون إلا إفراطاً أو تفريطاً أي أمراً إرادياً مقصوداً.

(١) ميزان العمل ص ٥٢.

(٢) ميزان العمل ص ٤٩.

(٣) الأحياء ٣٥ ص ٤٧.

(٤) فلسفة الأخلاق د. محمد يوسف ص ١٥٤.



٢ - العفة : وهى إنقياد القوة الشهوية بسهولة ويسر بحيث يكون إنقباضها وإنبساطها بحسب العقل والشرع . وبذلك يكون المرء حراً غير مستعبد لشهواته ، وهى وسط بين الشره والخمود وكل منهما رذيلة :

والخمود عدم إنبعاث الشهوة إلى ما يرى نيله عقلاً وشرعاً من مطالب ورغبات فيها سعادة وخير .

٣ - الشجاعة : وهى فضيلة القوة الغضبية إذا إنقادت للعقل المتأدب بالشرع فى إقدامها وإحجامها ، دفاعاً عن الوطن أو للدين أو نحو ذلك مما يوجب الحمية ، وهى وسط بين التهور والجبن المذمومين .

أما التهور فهو تطرف فى الإقدام على ما يوجب العقل والشرع الاحجام عنه من الأفعال .

وأما الجبن فهو التفريط وعدم الإقدام فى مواطن الإقدام ، وكلاهما رذيلة ينأى عنها الطبع السليم ، وبأبوابها الشرع الحكيم (١) .

٤ - العدالة : وهى انسجام قوى النفس وإنظامها ، بحيث لا يبغي بعضها على البعض مع جعل القيادة للقوة العاقلة ، وهى بذلك جماع الفضائل وجماليتها كما أن ضدها وهو الجور جماع الرذائل وجماليتها ، والعدالة ليست وسطاً بين رذيلتين بل ليس لها إلا مقابل واحد هو الجور .

هذا ويقدر تحت كل فضيلة من هذه الفضائل الأربعة الرئيسية .

مجموعة من الفضائل ناشئة منها متفرعة عنها كما أن كل فضيلة من هذه الفضائل تكتملها مجموعة من الرذائل ، فإذا ما انحرف الانسان عن الوسط الذى هو الفضيلة ، وقع لاحتمال فى الرذيلة ، فمن إعتدال قوة العقل

(الحكمة) يحصل حسن التدبير وقوة الذهن ، وثقابة الرأى ، وإصابة الظن التفتن لدقائق الأعمال ، ومن إفراطها تصدر الجريزة (الخبث) والمكر والخداع والدهاء ، ومن تفريطها يصدر البلة والحق والجنون .

وأما خلق الشجاعة فيصدر عنه الكرم والنجده والشهامة ، وكسر النفس والإحتمال والحلم، والثبات ، وكظم الغيظ والوفاء، والتودد وأمثالها، وهى أخلاق محمودة .

وأما إفراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والإستشاطة والتكبر والعجب ، وأما تفريطها فيصدر منه المهانة والذلة والجزع والخساسة والإنقباض عن تناول الحق الواجب .

وأما خلق العفة فيصدر منه السخاء والحياء والصبر، والمساححة، والقناعة والورع، واللطافة والمساعدة ، والظرف وقلة الطمع، أما ميلها إلى الإفراط أو التفريط فيحصل منه الحرص والشره ، والوقاحة الخبث والتبذير والتقصير والرياء ، والهمسكة والمجانة والعبث ، والملق والحسد ، والشماقة والتذلل للأغنياء وإستحقار الفقراء وغير ذلك .

وأما العدالة : فهى كما تقدم جماع هذه الفضائل ويتبعها العدل فى المعاملة وفى السياسة ، وفى عامة الحالات ، ثم هى لا تخضع لنظرية الوسط الذى هو شأن الفضائل السابقة ، إذ ليس للعدالة إلا مقابل واحد هو الجور كما تقدم .

ملاحظة :

ويلاحظ فى بحث الغزالي لهذا الموضوع أنه يصبغ هذه الفضائل بالصيغة الإسلامية مستدلاً على ما يؤيده بالنصوص الشرعية فيراها الباحث



وكان لاصلة لها بالتعاليم الفلسفية فهو مقلا يذكر أن الحكمة رأس الأخلاق الحسنة (١) . وهي التي قال الله فيها « ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً » (٢) .

كذلك يرى أن تعاليم الإسلام قد نصت على الفضائل الأخرى . فالقوة الغضبية مثلاً فضيلتها الشجاعة ، وقد أثنى الله على المؤمنين المتصفين بالشدة فقال ( أشداء على الكفار رحماء بينهم ) ، وإنما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لبطل الجهاد ، ثم لماذا يدعى الكثيرون أن الغزالي وهي حجة الإسلام أخذ نظرية الوسط من الفيلسوف ( أرسطو ) مع أن القرآن الذي هو دستور أخلاق الإسلام قد عرض لهذه النظرية في أكثر من آية . ونذكر على سبيل المثال قوله تعالى : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتتعد ملوماً محسوراً » (٤) .

أليس هذا هو القصد الذي هو وسط بين التبذير والتقتير ، ويقول تعالى في آية أخرى في أوصاف عباد الرحمن « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » (٥) .

ويقول تعالى : « وكلوا وإشربوا ولا تسرفوا » (٦) .

أليس هذا منتهى الاعتدال المحمود؟ ثم إن السبغة المطهرة وهي المصدر الثاني من مصادر أخلاق الإسلام تنص على هذا في صراحة ووضوح ، يقول رسول الله ﷺ ( خير الأمور أوسطها ) ، وقوله عليه الصلاة والسلام ( لا عال من اقتصد ) (٧) .

- (١) الأحياء ج ص ٤٧
- (٢) سورة الفتح
- (٣) سورة الفرقان
- (٤) سورة الأعراف
- (٥) سورة الفرقان
- (٦) سورة الأعراف
- (٧) تفسير المنار = ٧

وغير ذلك كثير وإذا كان الغزالي كما يدعى البعض قد أخذ بنظرية الوسط الأخلاقي عن أرسطو لأنه درس وأطلع على مؤلفات الفلاسفة السابقين فمن أخذ محمد نبي الإسلام هذه النظرية ، وهو النبي الأمي ١١٤ والجواب ميسور ، وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى عليه شديد القوي ، (١) .

والحق الذي أعتقده ويعتقده كل منصف أن الغزالي الذي يتعصب في صراحة وجرأة للمبادئ الإسلامية ، والتعاليم المحمدية لا يبالغ في أمر من الأمور إلى أي مصدر غير مصادر الأخلاق الإسلامية ، مادامت قد عرضت لهذا الأمر بما فيه الكفاية والغناء والآن بعد السلام عن الفضيلة ، وأصول الفضائل نستطيع أن نتعرف على الطريق الذي وصلنا إلى اكتساب هذه الفضائل .

(١) سورة النجم .



### بيان الطريق إلى اكتساب الأخلاق

بحث الغزالي - رحمه الله - هذا الموضوع بمزيد عناية وكبير إهتمام. ولقد عرض له في كتابيه (الإحياء وميزان العمل) بطريق الإجمال مرة وبطريق التفصيل أخرى وكان الغزالي يريد أن يبين لنا كيف يمكننا أن نصير أصحاب أخلاق حسنة بعد أن عرف الخلق وأثبت قبوله للتغيير. وبعد أن بين لنا ما حسن الخلق وما سوء الخلق. يريد بعد ما فرغ من الأخلاق النظرية أن ينتقل بنا إلى الطريق العملي. وهذا هو منهجه دائماً، فإنه يعتمد في أخلاقياته على ركنين أساسيين. لا بد منهما في اكتساب الفضائل وهما العلم والعمل. ويرى الغزالي - رحمه الله - أن أصل الفطرة الخلقية الصحة والإعتدال وأن الشر داريء وعارض مستدلا على صحة رأيه بالحديث الشريف «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» مشبهاً الخلق الذي هو الصورة الباطنة بالجسم تماماً في أن الأصل هو الصحة والمرض عرض طارئ ما يعتري أعضائه من فساد الغذاء أو الهواء أو نحو ذلك.

ويرى رحمه الله أن الحال في الأخلاق لا تختلف عنها في الأجسام من حيث العلاج لا في قليل ولا في كثير. ثم يبين أن النفس كالبدن لا تخلق كاملة كما لم يخلق البدن كاملاً من حيث القوة والصلابة مثلاً وإنما يتكامل وينمو بالرعاية والعناية فكذلك النفس كما لها إنما هو بالتربية والتدريب. ويبين أنها كالبدن أيضاً إن كانت صحيحة ذكية طاهرة كان المهم العمل على حفظ طهارتها وجلب مزيد قوة إليها. وإن كانت مريضة علفت بها الآفات وسيء العادات والأخلاق. كان المطلوب تطهيرها، وإزاحة المرض عنها، وجلب الصحة لها. وكيف تعالج النفس من أمراضها المختلفة...؟ يشبهه الغزالي رحمه الله العلاج الخلق عن طريق الإصلاح بعلاج البدن بالأدوية والعقاقير. ويقول في هذا الصدد:

(١) -

(كما أن العلة المغيرة لإعتدال البدن الموجبة للمرض لا تعالج إلا بضدها فإن كانت من حرارة فبالبرودة. وإن كانت من برودة فبالحرارة. فكذلك الرذيلة التي هي مرض القلب علاجها بضدها. فيعالج مرض الجهل بالتعلم. ومرض البخل بالتسخي. ومرض الكبر بالتواضع. ومرض الشره بالكف عن المشتى تكلفاً).

وإذا كانت أدوية أمراض الجسم غالباً ما تكون مرة بل شديدة المرارة. ولا بد للمريض من تناولها. والصبر على شدة مرارتها حتى يتم له الشفاء. كانت أدوية أمراض النفوس والقلوب التي هي الرياضة والمجاهدة أشد مرارة على النفس ولا بد من إحتمالها، والصبر عليها حتى تزول العلة، وتعود النفس إلى صحتها وإعتدالها. فإن مرض النفوس الخالدة أشد خطراً من مرض الأبدان الذي ينتهي بموتها وفنائها. أما مرض القلب فإنه والعياذ بالله تعالى مرض يدوم بعد الموت أبداً (١).

ويرى الغزالي - رحمه الله - أن الاعتدال (الخلق الحسن) أما أن يكون فطرياً موهوباً من عند الله يمنحه لمن يشاء من عباده كأنبيائه والمهتدين بفطرتهم من خلقه، وإما أن يكون كسبياً لا ينال إلا بالرياضة والمجاهدة.

يقول الغزالي - رحمه الله - (ولا يبعد أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالإكتساب. فرب صبي يخلق صادق اللهجة سخياً جرياً (شجاعاً) وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالاعتقاد ومخالطة المتخلفين بهذه الأخلاق وربما يحصل بالتعليم (١).

(١) الأحياء ص ٥٣ ج ٣

(١) ميزان العمل ص ٤٥



لكن كيف يتفق هذا مع كلامه السابق في مبحث قبول الأخلاق للتغيير؟ أليس قوله ( أن كل خلق قابل للتغيير ) يفيد أنه ليست هناك أخلاق مطبوعة مفطور عليها الإنسان .

هكذا يرى أستاذنا أبو بكر ذكري في كتابه ( مواقف مع الغزالي ) أن إثبات الغزالي لأخلاق موهوبة فطر عليها الإنسان لا يستقيم مع ما ذكره قبل في ( قبول الأخلاق للتغيير ) مع أنه ليست هناك أخلاق هي بالنسبة إلى الإنسان ضربة لازب .

ثم هو ينسكرك على الغزالي لإثباته لهذه الأخلاق الموهوبة المطبوعة في النفس ويرى أنها لا بد مكتسبة . وقد يخفى علينا إكتسابها فنظنها موهوبة مفطورة وأعتقد أن لا تضارب ولا تعارض بين ما ذكره الغزالي في قبول الأخلاق للتغيير ، وبين ما أثبته هنا من أخلاق موهوبة . فإنما يلاحظ هنا غير الأعم والأغلب . وهذا واضح في الأنبياء ، وفي المصطفين من خيار الناس وأن نشأه رسول الله ﷺ ملي مكارم الأخلاق ، ومحاسن الشيم بين قوم جفاة غلاظ القلوب لا كبر شاهد يؤيد الغزالي في دعواه .

ولقد سأل أبو بكر . رضی الله عنه عليه السلام إعجاباً برفعة شأنه وسمو أدبه : - من أدبك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : - أدبي ربي فأحسن تأديبي ، وربما يشهد للغزالي في هذا المعنى قول القائل : -

إذا المرء لم يخلق سعيداً من الأزل      نخاب النبي ربي وخاب المؤمن  
فومى النبي رباه      جـ بريل كافر      ومومى الذي رباه فرعون مرسل  
وليس هذا في كل الناس بالطبع بل إن هذا الخلق الموهوب في الأنبياء لا ينافع فيه منصف فضلاً عن مؤمن .

### كيف يكتسب الخلق الحسن

يرى الغزالي أن وسائل إكتساب الخلق هي الرياضة والمجاهدة والتعود فالرياضة والمجاهدة يمكننا أن نتغلب على هوى النفس وأخلاقها المرذولة ، وبهما يمكننا تحصيل الأخلاق المحموده ، فعلى من يريد أن يكون سخيماً أن يحمل نفسه على البذل والإعطاء . ويتكلف ذلك بجهاداً نفسه حتى يصير ذلك خلقاً له و كذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع . وقد غلب عليه الكبر فطريقة أن يواظب على أفعال المتواضعين فيتكلف ذلك بجهاداً نفسه طويلاً حتى يصير التواضع خلقاً له وطبعاً له (١) ،

وهكذا الحال في سائر الأخلاق المرغوب في تحصيلها . ثم بالرياضة والمجاهدة يصير الخلق عادة للنفس راسخة . إذ الرسوخ في الأخلاق والثبات عليها شرط لا بد منه في تكوين الخلق . ولن ترسخ الأخلاق في النفس ما لم تكن عادة لها . والغزالي الذي هو حجة الإسلام بحق يربط الخلق الحسن بالدين رباطاً وثيقاً . ويرى أن الأخلاق الفاضلة إنما هي إخالق الإسلام ، وأن من أراد أن يكون ذا خلق حسن فعليه أن يلتزم بأخلاق الإسلام . وما أسماها أخلاقاً شهد لها العدو قبل الصديق . ولا ينكر الغزالي ما للصحبه والمخالطة من أثر فإن الطباع تسرق من الطباع في الخير والشر جميعاً . وفي الحديث الشريف ( يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدهم من يخال ) . ولذا فهو يحذرننا من قرناء السوء . وإخوان الضلال . وإلحق أن للصحبه والصدقة الأثر القوي في صلاح حال الإنسان وفسادها وأن عدوى الطباع لأفعل وأسرع سرية في النفوس من عدوى الأمراض ويوحى الله قائل هذا البيت :

(١) الأحياء ٣ > ٥١ وما بعدها .



وأحذر مصاحبة اللئيم فإنه

يعدى كما يعدى الصحيح الأجر

هذا وحده لو أن الغزالي — رحمه الله — ذكر ضمن هذه الوسائل أثر الوعظ والإرشاد في النفوس . فإن للوعظ والإرشاد الأثر الطيب في صف النفوس وتهذيبها . كذلك من الوسائل التي لا يستهان بها في تحصيل الخلق الحسن الإطلاع بالقراءة أو بالسماع على سير الأبطال والعظماء .

ومحاولة التأسي والإقتداء بهم لا سيما الإطلاع على سيرة الرسول الكريم الذي مدحه ربه فقال : وإني لأعجب لخلق عظيم .

هذا وما دمتا بصدد الطريق إلى اكتساب الفضائل وتهذيب الأخلاق وما دامت التربية ذات أثر فعال في تكوين الأخلاق . فإن هذا الأثر بلا شك يكون أسرع وأففع وأكثر ثباتاً ورسوخاً في نفوس الأطفال الذين هم فؤاة المجتمعات . وبدور الجماعات . لذلك يعقد الغزالي بحثاً خاصاً برياضة النفس وتأديب الأطفال .

ومن المهم بل من الضروري أن نشارك الغزالي هذا الإهتمام الفائق فنتسیر معه في هذا الموضوع الذي هو مكمل كما نحن بصده من بيان الطريق إلى تهذيب الأخلاق .

صلى الله عليه وآله وسلم :

(١) لا يولد مؤمناً ولا مسلماً ولا عقلاً .

## بيان الطريق إلى رياضة الصبيان وتحسين أخلاقهم

يعقد الغزالي رحمه الله في كتابه الأحياء الجزء ( ٣ ) صفحة ( ٦٢ ) وما بعدها فصلاً خاصاً برياضة الصبيان وتأديب الأطفال على فسق تربوي إسلامي يكون الرجولة ويخلق البطولة وهو يرتبنا في أول هذا الفصل مدى غيرته وحرصه على نجاح تربية النشء الإسلامي وهو يعظم — والحق معه — مهمة المربين من الآباء والأمهات والأوصياء ويؤكّد الوصايا عليهم بأداء واجهم المقدس لأن كل زرع يزرع بلا عناية فإن عاقبة أمره البوار والخسران كما أن كل زرع يؤخذ بالعناية من بدء نشوئه نادراً ما يخيب .

وسنعرض أولاً في هذا البحث لأهم الوصايا والتوجيهات القيمة التي نصح بها الغزالي ثم نعرض ثانياً لمناقشة بعض هذه التوجيهات ونستطيع أن نلمس أولاً وبوجه عام أن ما نادى به الغزالي وأرشد إليه من توجيهات كاملة شاملة قد شملت النقاط التالية :

( ١ ) مسؤولية الوالد في تربية ولده وهو إزاء هذه التربية لولده مطالب بما يأتي :

١ — تعليمه آداب الطعام والملبس .

٢ — أن يعوده الخشونة في العيش والملبس والصرامة في القول

والتواضع .

٣ — أن يعمله آداب المجالس .

كذلك شملت منح الصبي من بنى القول وأن يعوده الصبر والإحتمال

وطاعة الوالدين وتواضع الكبار وأن يدرّب منذ تمييزه على المحافظة على

الطهارة وآداب الصلاة وتعليم الدين .



وفيا يلي أهم الوصايا والتوجيهات التي ينادى بها الغزالي في تربية الأطفال وتهذيب النفس .

( ١ ) لا يجب على الوالد أن يؤدب ابنه ويهدبه ويعلمه ويحفظه من قرناء السوء .

( ٢ ) أن يجب إليه الزينة وأسباب الرفادية لئلا يعود على التمتع .

( ٣ ) وإذا رأى فيه مخايل التميز وبوادر الحياء فليعلم أن عقله مشرق وعليه أن ينمي ذلك فيه ويستعين به في تأديبه وتهذيبه .

( ٤ ) وليعلم أن أول ما يغلب على الطفل الشره إلى الطعام فينبغي أن أن يؤدب في ذلك وأن يعود على أخذ الطعام بيمينته والبدء باسم الله والأخذ مما يليه وعدم السبق إلى الطعام وعدم تحديق النظر إليه وإلى من يأكل معه والتمهل في الأكل ومراعاة النظافة وأن يعود على أكل الخبز الفقار أحيانا ويقبح عنده كثرة الأكل بدم الطفل الشره ويعوده القناعة .

٥ - أن يجب إليه الأبيض من الثياب دون الملون فالثياب الملوثة تليق بالنساء لا بالرجال وأن يحفظه من مخالطة الأطفال الذين عودوا التمتع ولبس الثياب الفاخرة ولعل مراد الغزالي بالملوثة التي تليق بالنساء الثياب ذات الألوان الفاقعة وغير المتبولة . فإن من الألوان ما هو مناسب مقبول ولا بأس في لبسه .

٦ - وإذا ظهر من الطفل فعل محمود ينبغى أن يجازى عليه بما يفرح به وأن يمدح أمام الناس . فإن أساء مرة فيجمل بالوالد أن يتغافل عنه ولا يكشفه ولا يسبها إذا ستره الطفل واجتهد في الإخفاء فإن مكاشفته قد تزيد مساءه وعدم مبالاة فإن عاد فليعاقب مرارا ، وليعذر عواقب الافتضاح ولا يسكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون عليه سماع الملامة وركوب القباح ويسقط وقع الكلام قلبه .

٧ - وينبغي أن يمنع من النوم نهارا فإنه يورث العكسل ويمنع من الفراش الوثير عند النوم ليلا لتصلب أعضائه ويتعود الخشونة هذا ولعل الغزالي معنا في وجوب مراعاة ما تقتضيه القواعد الصحية في نوم الأطفال ومراعاة ظروف الناس وأوضاعهم المختلفة .

٨ - كذلك على الوالد أو من يقوم مقامه أن يمنعه من كل ما يفعله خفية فإنه لا يخفى إلا ما يعتقد أنه قبيح .

٩ - ويعود المشى في بعض النهار لتجيب إليه الحركة والرياضة .

١٠ - ويمنع من الافتخار بشيء مما يملكه أو مما يملكه والداه ويعود التواضع .

١١ - ويعود ألا يبصق في مجلسه ولا يتمنخط ولا يتشأب بحضره غيره ، ويعلم كيفية الجلوس ، ويمنع كثرة الكلام ويعود أن لا يتكلم إلا مجيبا بقدر السؤال وأن يقوم لمن فوقه ويفسح له المكان .

١٢ - يجب أن يمنع لغو الكلام وخشيه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجرى على لسانه شيء من ذلك يصري لا محالة من القرناء السوء واصل تأديب الصبيان الحفظ قرناء السوء .

١٣ - ويمنع من القسم صادقا أو كاذبا .

١٤ - وأن يعود الصبر واحتياك الضرب من المعلم فلا يكسر الصراخ والشغب .

وأرى أنه لا بد هنا من اقناع الطفل بأن هذا الضرب ليس قسوة عليه ولا كرها له وإنما هو في صميم مصلحته فإن ذلك ادعى إلى احتمال ضربه وإمانته .



١٥ - وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من المدرسة باللعب الجميل ليستريح ويستروح .

١٦ - ويعلم طاعة والديه ومعلميه ومؤدبيه وكل من هو أكبر منه .

١٧ - وإذا بلغ سن التمييز فلا يسأخ في ترك الطهارة والصلاة ويؤمر بالصيام في بعض أيام رمضان وليعلم كل ما يحتاج إليه من أمور الدين .

١٨ - ويجنب لبس الحرير والديباج والذهب .

١٩ - ويجب أن يخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الحياة والكذب والفحش وكل ما يغلب على الأطفال . . ١٠ هـ

ونرى من الضروري تسميا للفائدة وجوب منح الصبيان من قراءة القصص والروايات المأجنة ومشاهدة الأفلام الخالصة المثيرة التي منينا بها في هذه الأيام والتي لو كانت منتشرة في عصر الغزالي بهذه الصورة الخطيرة على أخلاق صبياننا وشبابنا . لقد تم التحذير منها والتهويل من خطورتها على سائر ما ذكر من نصائح وتوجيهات وفي الحق أن هذه الآراء والتوجيهات تستحق المزيد من البحوث والدراسات .

مناقشة بعض ما ذكره الغزالي من توجيهات في مجال تربية الأطفال .

ومع إعجابنا بغيرته رحمه الله وبتمحمسه دائما لسكل إصلاح إسلامي وإنساني نرى وفاء أبو جوب حرية البحث أن نعرض بالمناقشة لبعض آراء وتوجيهات أخرنا ذكرها لهذا الغرض .

يرى رحمه الله أن الطفل يولد وقلبه الطاهر جوهره نفيسة ساذجة خالية عن كل ما نقش فيه وأنه بجوهره قابل للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين مستدلا بالحديث الشريف ( كل مولود يولد على الفطرة . . الخ ) والغزالي في هذا بحق إلى حد كبير لكن كان عليه

أن يشير هنا إلى الوراثة وما لها من أثر بعد في نشأة الطفل وتكوين أخلاقه كما يرى أكثر فلاسفة الأخلاق بل اننا نستطيع أن نجزم بأن الرسول الحكيم صلوات الله وسلامه عليه كان يعني أمر الوراثة وما لها من أثر حينما قال ( تخيروا لنطفكم فإن العرق (دساس) ولعل عذره في هذا كما قال أستاذنا / أبو بكر ذكري في كتابه ( مواقف مع الغزالي ) في صفحة ٦٢ أنه في معرض الحفز والتشجيع على بذل الجهود فكان من المناسب أن يدعو إلى التفاؤل أكثر ما يدعو إلى التشاؤم واليأس والسكل مجتهد نصيب ) .

١ - أما قوله أن الطفل متى رضع لبن امرأة تغذت من الحرام فإن طبيقته تتعجن بالخبث ويكون شريرا فذلك مبالغة وحرص وتشديد أكثر مما يلزم وإلا فما ذنب الطفل الذي لا إرادة له ولا إختيار في ذلك وقد تلجئه الضرورة إلى وضع لبن هذه المرأة إذالم يتسير غيرها . أعتقد أن قواعد الدين السمحة السهلة أرفق بالطفل وأرحم به من هذا التشدد وهذه المغالاة لكن يبدو أن الغزالي قد حرص على أن يحوط الطفل بالظهر والصلاح فبالغ في ذلك .

٢ - عرض الغزالي ضمن توجيهاته لمسألة الأخذ والعطاء فقال : ( ويمنع أي الصبي أن يأخذ من الصبيان شيئا بداله حشمة ان كان من أولاد المتحشمين بل يعلم أن الرفعة في الإعطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة ودناءة وإن كان من أولاد الفقراء فيعلم أن الطمع والأخذ مهانة وذلة وأن ذلك من دأب السكاب فإنه يبصبر في انتظار لقمة والطمع فيها وبالجملة يقبح إلى الصبي حب الذهب والفضة والطمع فيها ويحذر منهما أكثر مما يحذر من الحيات والعقارب فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أخطر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكبر أيضا ) وأعتقد أن الغزالي قد خرج الأمر هنا وضيقه وكأنه بذلك يجعل الطفل منزويا عن